

1- دراهم في اللغة والأدب والحضارة

للدكتور محمد الربداوي

بقلم: علي القاسبي

ولغتها وآدابها ، وترجمات القرآن وآثارها في اللغات الأوربية ، وما خلفته العربية في المعجم الإسباني البرتغالي ، وقصة (الفتية المغرورين) أو مقدمة رحلة الكلمة العربية إلى أمريكا ، ورحلة الكلمة العربية إلى انكلترا ، والحضارة العربية في جزيرة صقلية ، وغزو اللغة العربية لجنوبي إيطاليا ، وتأثير الفكر العربي على الفكر الإيطالي ، ونسب العربية إلى المعجم الفرنسي ، وتأثير الأدب العربي في الأدب الفرنسي ، وغيرها ، وإذا ما علمنا أن القسم الثاني من الكتاب سيتناول سياحة اللغة العربية في آسيا الصغرى وبادان الشرق الأوسط وتفاعلها مع حضارات شعوب العرق الأصفر ولغاتها ، نأكد لنا أن مقالات الكتاب اللؤلؤية تنتظم في عقد واحد يمكن أن يسمى بـ « عالمية اللغة العربية » وأن الكتاب يستحق الأطراء لأنه أول كتاب — على ما نعلم — جمع بين دفتيه الحقائق المتعلقة بانتشار اللغة العربية في العالم . وحينما يتطرق المؤلف إلى الحديث عن اكتشاف العرب لأمريكا قديما أو هجرتهم إليها حديثا أو انتقالهم إلى

يتألف هذا الكتاب من نخبة مختارة من المقالات التي تجمع بين الأسلوب الأدبي الشائق والبحث اللغوي الموضوعي ، كانت في الأصل محاضرات القاها المؤلف في عدد من الجامعات العربية . أو مقالات أذاعها من محطة الإذاعة السورية ، أو كلمات نشرتها الصحف الدورية ، هدفها تتبع حركة اللغة العربية في انطلاقتها من موطنها الأول ، جزيرة العرب ، إلى أنحاء المعمورة ، واستقراء تأثيرها في حضارات الشعوب المختلفة ولغاتها . ويتجلى هذا الهدف في عناوين معظم المقالات مثل : اللغة العربية تدخل المحافل الدولية ، ودخول اللغة العربية إلى منظمة اليونسكو ، ورحلة الكلمة العربية في العالم القديم : انتشار اللغة العربية في مصر وليبيا — انتشار اللغة العربية في تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والسنغال وصراعها مع اللغات المحلية — انتقال اللغة العربية إلى شمالي أفريقيا بواسطة قبائل بني هلال ، وعبور اللغة العربية مضيق جبل طارق ، وفضل الثقافة العربية على الثقافة العبرية

اصقاع مختلفة من المعمورة فان همه الاساسى هو رحلة الكلمة العربية وانتشارها وتأثيرها في الحضارات الانسانية يقول المؤلف في هذا ما نمسه :

« واعد فأكبر القول اننى عندما اتحدث عن المهجرين وعن الادب الهجرى ، فاننى لا اتحدث عن أسباب الهجرة وعواملها ، ولا عن وسائل الهجرة واشكالها . ولن استقيض في وصف مقومات الادب الهجرى وخصائصه . وان اشغل قلبي في رصد ميزات هذا الادب وتطوره ، لان هذا الصنيع موكول الى الكتب المدرسية والتعليمية ، وانها مهتبه هنا تنحصر في رصد رحلة الانسان العربى حامل الكلمة العربية . ويأثر هذه الكلمة في تربة العالم الجديد ، ثم ارسده وهو يتمهد هذا البذار بالرعاية والعناية ، حتى غدت الكلمة العربية لغة عربية ، وافرخت اللغة شعرا ونثرا وخطابة وقصة ومقالة ، وجملت كل هذه الفنون الادبية الفكر العربى وثقافته وحضارته الى ارض العالم الجديد » .

ولا يتضح من هذا النص هدف الكاتب والكتاب نحسب ، وانما جزالة اسلوب المؤلف وسلاسته ايضا . ومن يتم النظر وبطيل التأمل في مادة الكتاب يجد ان كثيرا منها يقع في مجال التائيل (دراسة اصل الكلمات وتاريخها) ، وهو احد فروع علم اللغة لا يجد اثبالا واهتماما من لدن اللغويين المحدثين ولا يكتب فيه كثيرا الا ما يرد من اشارات في المعاجم تصف اللفظ بأنه « مولد » أو « معرب » او « محدث » . وما كتبه عدد قليل من اللغويين العرب كالاستاذ عبد الحق فاضل الذى نشر سلسلة من المقالات تحت عنوان (دخيل ام ائيل) في مجلة انسان العربى ، والاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في مقالاته الموسومة بـ (وحدة اللغات) التى تنشر في المجلة ذاتها .

ومن امثلة الدراسات التائيلية التى يزخر بها كتاب الدكتور الريدواوى (قصة القهوة) التى يفرد لها فصلا خاصا تمييز كيف ان لفظ (القهوة) كان يطلق على الخبزة في العصر الجاهلى ، وقد استعمله الاسلاميون والامويون والعباسيون بهذا المعنى . وسميت القهوة بالقهوة لانها تقهى شاربها عن الطعام اى تذهب بشهوته وتصده . ثم يوضح ان (البن) الذى يستخرج منه شراب يسمى القهوة كانت تزرع شجرته في اليمن ، ويروى ان رئيس احد الاديرة بالجزيرة العربية هو الذى استدل على شجرة البن حينها لاحظ ان الماعز الذى يرعى اوراق تلك الشجرة

تظهر عليه مخايل النشاط والمراح ، فخطر بباله ان يشرب نقيع اوراق تلك الشجرة فشمع بشيء من المرح والارتياح ، فعاودها وادمنها . وشاع احتساء القهوة في اوساط المتصوفة للاستعانة بشربها على السهر والعبادة . وما ان نصل الى القرن التاسع الهجرى حتى نسمع بان تعاطى القهوة اصبح شائعا في كل مناطق اليمن واعدن ، ثم انتقل الى بلاد الحجاز فالشام فمصر فساير البلاد العربية . وزحفت القهوة الى عاصمة الخلافة العثمانية في اسطنبول حوالى سنة 1962 ولاسباب سياسية ودينية منع تعاطيها واغلقت المحال التى كانت تقدمها . ونقل الاتراك القهوة الى نيبينا في النمسا ، وكانوا يسمونها (كاتيه) ومنها جاء اسم (كافى) في اللغات ، والاتراك يشربونها من دون مزجها بشيء آخر ، ولذلك يطلق الاوربيون على هذا النوع من القهوة اسم (القهوة التركية) . وعندما شاعت في اوربا لقيت معارضة من رجال الكنيسة حتى عبدها البابا كلمنت الثالث . ثم يروى المؤلف قصة انتقال شجرة (البن) الى القارة الامريكية وهى قصة تطرح مغامرة ورومانسية وطرافة .

وينتهى المؤلف الى مبدأ تائيلى مفاده انه اذا اختصت منطقة نبات معين او حيوان بذاته . وانتقل هذا النبات او الحيوان الى حضارات اخرى فان اهلها يقترضون اسم ذلك النبات او الحيوان من لغته الاصلية ويضيفونه الى لغتهم حتى يصبح جزءا منها . ومن امثلة ذلك لفظا (القهوة) و (الجبل) اللذان دخلا معظم اللغات الاوربية من اللغة العربية . ولكى يقنع المؤلف القارىء العربى بصواب هذا المبدأ يضرب امثلة كثيرة لالفاظ اجنبية دخلت اللغة العربية كالبرتقال والتبغ والبنودرة . يقول المؤلف في عرضه لقصة النبات الاخير اللغوية ما ياتى :

« و (البنودرة) نبات امريكى الموطن : اصله من جمهورية البيرو ، ويسمونه في الاسبانية (بوما دورا) وترجمتها الحرفية (التناج الذهبى) اما في اللغتين الفرنسية والانكليزية فيطلقون عليه اسم طباط (ومن هنا اخذ اهل المغرب العربى التسمية فقالوا (طباطش) واخذها المصريون فقالوا (طباطم) كما اردوها باللفظة التركية (اوطه) . اما في بلاد الشام فاحتفظوا بالاسم الاوربى الاسبانية (التناج الذهبى) (بوما دورا) ثم قلبوا الميم نونا لمقرب المخرجين فقالوا (بندورة) ، واعتقد أنك لن تسألنى بعد هذا الشرح عن تعريب (كلمة) (بندورة) واماها

يحمل في طياته كثيرا من المعلومات اللغوية والادبية
والحضارية الطريفة التي قدمت الى القارئ المثقف
بأسلوب شائق ممتع سلس يعكس شيئا من لطف
المؤلف وادبه .

من الفاظ النماذج الاعجمية التي تند الى بلادنا حاملة
بها اسما ، فنضطر الى التعامل به من دون أن
يكلف الناس انفسهم عناء التفكير في ايجاد تسمية عربية
لهذا المسمى ، ومثل هذا كثير بين اللغات *
ان كتاب (دراسات في اللغة والادب والحضارة)